للجماهير العربية في التحرّر والتقدّم والديمقراطية والوحدة.

من هنا يصحّ القولُ إنّ من المتعذّر على إسرائيل اختراق الجدار العربي إلا عبر الثغرة الفلسطينية. وإلى هذا الهدف الأساس انطلق العدوّ بكلّ طاقاته الذاتية وبكل قدرات ملفائه الغربيين وعلى رأسهم جميعاً الولايات المتحدة الأميركية. وها هو اليوم يصيب هدفه في الصميم من خلال: «غزّة – أريحا» ثمّ يمضي قُدماً نحو عواصم عربية تتسارع إلى الترحيب به لكأنّها على انتظار لقدومٍ طال أمدُه.

ما كان لاتفاقات «كمب دايفيد» هذه القدرةُ السحريةُ سواء على إسقاط الأسوار أو إسقاط الأقنعة، وما كان لغير الاتفاق الإسرائيلي – الفلسطيني أن يصنع هذا المصير الكسيح، الذليل.

ولكنْ، برغم ذلك، فمن الوهم أو الجهل أو منهما معاً الادّعاء بأنّ تاريخ الصراع الدامي قد توقّف في محطته الأخيرة، وأنّ أنهار الدماء الذكية قد تحوّلت بسحرِ ساحرٍ إلى حدائق مودّة وفضاءات صفاء. لا، تقول حقائق الاشياء وتشهد حركة التاريخ... فالصراع باقٍ لاريب في ذلك، فهو يستعصي على محاولات القتل اغتيالاً أو احتيالا، إنّما شأنه أن ينتقل من مرحلة شاخت وتساقطتْ إلى مرحلة وليدة تستدعي، لمسارها الجديد، قوى اجتماعيةً وسياسيةً جديدةً، تستدعي وعياً جديداً ومؤسسات وبرامج وأشكال عملٍ وقيادةً جديدة.

تلك أمثولةُ التاريخ، فلنُعْطها البصر والبصيرة: الشعوب تصنع أقدارها ليس غير. ولنغلق السمعَ، في زمن التراجع والرّدّة، عن دعاة الاستسلام، مجمّلي وجوه الهزائم ومُروّجي عملتها المزورة.

ليس في الأوجاع البشرية أقسى من الوجع الذي نُكابده حيال هذا المشهد الاستفزازي في شخوصه ونصوصه وتحوّلاته والأبعاد. ولكنّه الوجع الشاهد على نهاية فصل من فصول الصراع وبداية آخر، وهو الوجع الدّاعي إلى تحدّيين توأمين: تحدّي الواقع العربي، في لحظة اهترائه القصوى، باجتراح عملية تغييره؛ وتحدّي القرار الأميركي – الصهيوني، في ذروة غطرسته، برفع قرار المواجهة الشاملة والاصطفاف خلفه إنهاءً للاحتلال الإسرائيلي وإحباطاً لمؤامرة التطبيع وانتصاراً للحريّة وكرامة الانسان.

حصان طروادة الجديد ودور الخلايا الحيّة

احمد سويد*

في عام ١٩٤٨ تمخّضت الهزيمةُ العربية المخجلة عن الولادة القانونية لدولة إسرائيل. ولكنّ الوليد الذي أنتجتْه حرب التأسيس، من منظور صهيوني، ظلّ محاصَراً بالرفض وخطر الاختناق، على الرغم من الحروب التي افتعلها بعد ذلك لفكّ هذا الحصار.

ويومَ أقدم السادات، بدمٍ بارد، على اقتراف جريمته، توهّمَ الكيانُ العدوّ أنّ سقوط مصر قد أتاح لحلمه التاريخي الفرصةَ لاختراق تلك الأسوار التي اعتبرها «الفرعون الصغير» مجرّدَ حواجز نفسية سوف يؤدّي اختراقُها إلى دخول إسرائيل في النسيج العربي، وإلى وضع خاتمة سعيدة ونهائية لحروب الضغينة.

ولكنّ الحلم الصهيوني الذي أنعشهُ وهيّج شهيّتَه استسلامُ مصر السادات – مصر الطفيليّين المتسلّلين الّذين تسلّقوا ساقَها وهم يعرفون أنّهم لا يمثّلون روحَها ولا يجسّدون إرادتها – سرعان ما فوجئ بمجابهة بمنتهى الضراوة تُواجهه بها مصرُ الشعب، مصرُ العصيّة التي يثبتُ تاريخُها الطويل أنّها امْنَعُ منْ أنْ تُخْترق.

لا بدّ إذن من حصان طروادي جديد يمتطيه الحلمُ الصهيونيّ لاقتحامٍ جديد هيّأتْ له «عاصفةُ الصحراء» أفضلَ المناخات المؤاتية، في ظلّ تشظٍّ عربي رهيب، وسيطرةٍ أميركية كاملة على قرار محمياتها العربية.

وتطوّع عرفات لأن يكون هذا الحصان، تخوضُ به إسرائيل وباسم السلام حربَ التمدّد والاحتواء، حربَ النفاذ إلى خزائن الثورة العربية، ولأن يكون – كما يقول وليد الخالدي – جوازَ عبورها إلى المنطقة الخلفية، وصانعَ أعظم انتصاراتها كما يصف الرّوائي الإسرائيليّ «عاموس أوز» اتفاقَ الإذعان الذي هدر نضالاتِ قرن كاملٍ وتضحياتِ أجيالٍ كاملة، وشطب تاريخاً طويلاً من البطولات لقاء زنزانة اسمها «غزّة/أريحا»، وسلطةٍ وهميّة، في

* قصّاص من الجنوب اللبناني، ومحامٍ، ونائب في البرلمان اللبناني، والأمين العام المساعد للشؤون الخارجيّة في اتّحاد الكتّاب اللبنانيين.

ظلّ حماية «الشين بيت» والاستخبارات الأميركية.

لقد كانت إسرائيل تعتبر غزّة – وهي أمّ الانتفاضة – عبئاً ثقيلاً على أمنها، ومصيدةً خطيرة لجنودها، وتمريناً يومياً لهيبة جيشها وسمعته. وكانت إسرائيل على أُهبة أنْ تُخفّف من هذا العبء، وأنْ تهرب بسمعة هذا الجيش خارج هذه «البرمودا» الفلسطينية. ولكنّ الشّبَق العرفاتي للسلطة قَيّض لها فرصةً تاريخيةً فعلاً؛ إذْ بدلاً من أن تدفع هي الثمنَ، تطوّع عرفات فدفع لها القضيةَ كلَّها بكلّ أمجادها وكلّ آمالها وتطلّعاتها ثمناً لحفنةٍ من سرابٍ، وثمناً لوهم التحرير.

إنّ «عاصفة الصحراء» مازالت تزوبع وتزمجر. وما العرس الإسرائيلي الذي تطوّعت أميركا لإقامته في البيت الأبيض احتفاءً بالحدث التاريخي سوى هبّةٍ جديدة من هبّات هذه العاصفة. ففي هذا العرس، تبرّأت منظمةُ التحرير علناً من تاريخها ولعنتْه على مرأى (ومسمعٍ ودهشةِ) مئة وعشرين دولة تحمّست ذات يومٍ للقضية واعترفت بالدولة الفلسطينية.

إنّ هذه الدول التي ساندت الحقَّ الفلسطيني، وشهدتْ كيف سخرت إسرائيل من الشرعية الدولية ومزّقت قراراتِها ولم تعبأ بكلّ الضغوط المعنوية التي مورست عليها لتلتزم هذه الشرعية... إنّ هذه الدول تتساءل بكثير من الدهشة الممزوجة بمرارة الخيبة: أيّة ضمانات تكفلُ لعرفات وفاءَ إسرائيل بوعودها التي قطعتها له، في غياب رأي عام دوليّ يراقب أو يُحاسب، لأنّ صفقته معها قد تمت بمعزلٍ عن رقابة أيّة هيئة دولية وبجهود وسطاء سريّين جميعهم سماسرةٌ لها؟

هل يعتمد عرفات على الشهامة الأميركية ضامناً وكفيلاً؟ حسناً، وهنيئاً له، هديّة العرس الفورية التي قدّمتها أميركا لربيبتها ضماناً أبدياً لأمنها، وهي عبارة عن تكنولوجيا عسكرية متقدّمة كانت تحجبها عنها حتّى الآن.

* * *

قد يُقال: إنّ «غزة/أريحا» وُلدت تحت مظلّة عربية وبمباركة عربية، بل وبإسهامٍ عربي سرّي وعلني في جهد «الولادة»، فلِمَ المكابرة وإنكار نسب الوليد؟

... هذا صحيح. ولكنّ ما يجب أنْ تُواجَه به هذه الحقيقةُ المُرّة، هو أنّ عرس السلام الذي احتفى به أعداءُ العرب في البيت الأبيض ليس سلاماً بين شعب إسرائيل والشعب الفلسطيني، وليس مدخلاً للسلام بين إسرائيل والشعوب العربية. بل هو في الحقيقة استسلام مُهين من قلّة متخاذلة من الشعب الفلسطيني، أتعبها النّضالُ، فتساقطتْ على جنبات طريقه. وهو بدءُ صراعٍ جديد بين مغتصب الأرض وبين كتلة الشعب الفلسطيني الذي لمْ يتعبْه الكفاحُ في سبيل كرامته وأرضه وتُراثه. وهو في الوقت نفسه فضيحة القرن، تُثقلُ عارَها أنظمةٌ عربيةٌ جعلت من القضية الفلسطينية وسيلةً لابتزاز شعوبها، وذريعةً للقمع الجماعي، وذبح الحرّيات، وفرض أسوأ أشكال الديكتاتورية. فليس من حقّ مَنْ يدّعي تمثيلَ الشعب الفلسطيني، ولا من حقّ تلك الأنظمة أن يتصرّفوا – تحت أيّة ذريعة – بالحقّ القومي في فلسطين، لأنّ لكلّ شعبٍ عربي – بل لكلّ مواطن عربي – شراكةً أكيدةً وثابتة في التضحيات التي قُدِّمتْ دفاعاً عن هذا الحقّ.

إنّ مؤامرة غزّة/أريحا تهدفُ الى اختراقٍ يؤدي على الصعيد الاقتصادي إلى تطويع الاقتصاد العربي، ومن ثمّ السيطرة عليه. ويؤدّي على الصعيد الاجتماعي والسياسي إلى فرْض التطبيع، وإدخال إسرائيل في النسيج العربي جرثومةً نشطةً قادرةً على القيام بدورٍ تخريبي باتجاه إجهاض كلّ محاولات للتماسُك العربي، وذلك عن طريق إثارة الفتن والنزاعات العرقية، وتوليد الحروب الأخويّة، وتغذية الحساسيّات الأقليّة، وتفتيت الوحدات الكيانية.

ولا ننْسَ أنّ هذه المؤامرة، التي هي فصلٌ من كتاب غير مقدّسٍ، قُصد منها خدمةُ الاستراتيجية الأميركية الإسرائيلية الهادفةِ إلى تجريد الوطن العربي من قواه الكامنة والمعطّلة – وهي القوى التي تُرشّحه دوماً لدورٍ حضاري متميّز – وإلى ترويض شعوب هذا الوطن، بحيث تتعطّل فيها ملكةُ الاستشراف والذاكرة القومية وغريزةُ الرفض، وتتقطّعُ الأواصر التي تربطها بتراثها وتاريخها. ولقد سارعتْ أميركا، تمهيداً لولوج هذه المرحلة، إلى القيام بعملية «تبييض» للتاريخ الإسرائيلي، إذْ راحت تنهمر على هيئة الأمم، لكي تُطهّر أدبياتها وقراراتها ونصوصَها من كلّ ما يشكّل «تشويهاً» لذلك التاريخ في الذاكرة الأمميّة.

كما أنّ «الأوامر» الأميركية بدأت تُوجَّه إلى بعض الأنظمة العربية لكي تمحو من ذاكرة أجيالها كلَّ ما يمكن أن يذكّر بأنّ

الكيان الإسرائيلي هو «كيان عدو»، وأنّ إسرائيل غاصبة للأرض امتهنتْ طوال خمسين سنةٍ من عمرها سفكَ دماءِ العرب والعدوانَ على كلّ ما هو قيمةٌ إنسانية. وقد تصل «المونةُ» الأميركية على العرب أن تطلب منهم حذفَ النصوص التي لا ترضى عنها إسرائيل من كتبهم الدينية.

* * *

لكلّ من توهّم أنّ الصراع مع إسرائيل قد انتهى أو أوْشَك، وأنّ القضية قد سقطتْ وطُويَتْ، نؤكّد - بكلّ ما في القلب من إيمان بخصائص أمّتنا - أنّ منْ أسْقَطتهُ مؤامرةُ غزّة/أريحا ليس في الحقيقة سوى زمرةِ المتخاذلين، وحفنةٍ من الأنظمة تتوهّم أنّ سلامها وسلامتها في الاستسلام.

إنّ صراع الشعوب مع إسرائيل وحلفائها القدامى والجدد يجب أن تفتتحَهُ، منذ اللحظة، الخلايا الحيّةُ في الجسد العربي. وينبغي أن يكون شعارُ المرحلة التي نقف اليومَ على عتبتها أنّ سلاحنا في هذا الصراع لن يكون التضامنَ العربيَ الهشَّ الذي تعوّد النفاقُ الرّسميُّ أن يدعو إليه، بل «الوحدة» التي يجب أن تفرضها ثوريةٌ جماهيريةٌ واعيةٌ. كما ينبغي أن نؤكّد المقولةَ النضاليةَ المعروفةَ القائلة بأنّ ما تُوَقّعهُ الإراداتُ الفوقيةُ وترتضيه «الإراداتُ المهزومةُ» تمزّقه الشعوبُ الحيّةُ وتذرو رمادَهُ في وجه الريح.

هل اليقظة ممكنة؟

جوزف مغيزل*

صَدَمنا الاتفاقُ الفلسطيني في الأعماق. والآن نتساءل عن هذا الذي جرى ونستغربه.

منذ ١٩٦٧ والأمّة العربية تنحدر، طوراً عن طريق الحرب وتارةً عن طريق السلم:

حكومةٌ تستفزّ أعداءها وهي لا تدرك قوّتهم؛ أو تتوهّم قوّتها فتدخل في حربٍ وتنهزم، لتهزم معها أكبر آمال علّقتها الأمّة على قائد منذ قرون. أوليْسَ هذا ما حصل في عام ١٩٦٧، في حرب الأيام الستّة عندما انزلقت مصر جمال عبد الناصر إلى القتال، فانهارتْ تحت ضربات الجيش الإسرائيلي، وفقدتْ سيناء، كما فقدت سوريا الجولانَ، وفقد الأردن والفلسطينيون القدسَ والضفّة الغربية وغزّة؟

بعدئذ انساقتْ الدول العربية نحو سلسلة من التراجعات المتتابعة:

ففي العام ١٩٧٣، بعد أن شنّت مصر العملية العسكرية المُباغتة الناجحة، انقلب النصرُ بعد أيّامٍ انكساراً؛

وفي العام ١٩٨٢، عند توقيع اتفاقيات كامب ديفيد وهرولة الرئيس السادات الى تل أبيب وحسم المستقبل المنظور لصالح إسرائيل، كُرّس التشتتُ العربي وعُقِدَتْ راية استفرادالدول العربية لصالح الدول العبرية؛

وفي العام ١٩٧٥ اندلعت الحروبُ في لبنان. فلسطينية/لبنانية ولبنانية/لبنانية، وتمطّتْ خمسة عشر عاماً كأنّها خمسة عشر قرناً، وأثخنت جسم الوطن الصغير وشعبه واقتصاده وإداراته بأعمق الجروح؛

وفي العام ١٩٩٠ وقع الغزوُ العراقي للكويت، فأضاف إلى الهيكل العربي مزيداً من المآسي والمآزق.

ورافق كلّ ذلك تدهورٌ في العلاقات بين الحكومات العربية وتعميقٌ في الخلافات والانقسامات. فإذا بالأمّة أشلاء أشلاء، لا حول لها ولا قوّة، تستسلم للقوى الخارجية، ولا سيّما للقبضة الأميركية.

* * *

واليوم اتفاق غزّة/أريحا.

أوَليْسَ هذا الحدث المرّ ثمرةً طبيعية لتلك التراجعات وللاستفراد الذي تحوّل الى انفراد؟

هذا الواقع العربي لم يكن معزولاً، وليس اليوم معزولاً، عن تخاذل دول العالم عن إحقاق قضايانا، وعن إسقاط دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهو الإسقاط الذي تمثّل بتخلي هذا المجلس عن قراراته وتجاهله المتعمّد لالتزاماته تجاه منطقتنا وكأنّه في سلوكه كان يُمهِّد لما بلغناه.

تلك اللوحة القاتمة تمثّلُ اليوم في خاطرنا المكلوم.

وماذا بعد؟ أيكفي أن يُقال - تعلّةً للنفسِ - إنّ تلك مسؤولية الأنظمة والدول الكبرى وأنّ الشعوب العربية مازالت

محامٍ، وعضو البرلمان اللبناني، وواحد من مؤسسي اتّحاد الكتّاب اللبنانيين.